

## نداء إلى الأم

مشاركة: ميسون برغل

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

كان لتزامن استشهاد فقيدنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (رحمه الله) في يوم عيد الأم مَلَمَحاً هاماً يستوجب الوقوف عنده والتأمل فيه.. اجتماع مناسبتين في يوم واحد: واحدة مفرحة والثانية محزنة يجعلنا نستلهم منهما فكرة مفادها: إنَّه علينا استثمار الحزن استثماراً إيجابياً بحيث تعود بوائق نفعه على المناسبة الثانية، ففي إسلامنا لا مكان للحزن السلبي المحبط، بل الحزن هو وسيلة ودرجة توصل صاحبها -بعد استعانته بالله والاعتماد عليه تعالى- إلى مرتبة جديدة من المعرفة والتعلم.. فأنا أكاد أجزم أن فقيدنا وفقيد بلاد الشام (رحمه الله) لو كان حاضراً بيننا لم يكن ليرضيه إلا أن نحول أبعاد الحزن والأسى إلى حراك إيجابي يتمثل بالتشبع والارتواء من معين ديننا العظيم والعمل على نشره وتطبيقه قولاً وعملاً وتحويله إلى منهج حياة لنا ولأجيال المستقبل القادمة.. ذلك المنهج الذي أمضى جلَّ عُمره في خدمته ونشره، وذلك ليعلم أن غرسه قد أثمر وأن جهده وجهاده لم يضع أبداً، وأن الرسالة التي حملها وأداها على أكمل وجه آتت أكلها، وكانت لها آذان صاغية وعقول واعية وقلوب محبة. هذا ما أكاد أجزم به أنه سيفرحه و يرضيه..

بعد هذا أتوجه للأم في مناسبتها المفرحة وأقول لها: إن كنتِ كأمٍ سورية أولاً ومسلمة ثانياً وإنسانة ثالثاً، إن كنتِ قد تألمتِ لما حصل لفقيد بلاد الشام وحزنتِ للخسارة التي نالت منا وعصفتِ ببلادنا، إن كنتِ قد استشعرتِ غياب هذه القامة التي ما برحت تنافح عن دينها ووطنها، إن كنتِ قد سمعتِ بالمقولة التي قالها (رحمه الله) حين عرض عليه السفر خارج البلاد مع كافة التأمينات له ولعائلته فأجابهم بتلك العبارة التي تدمي القلب وتثير الشعور في أعماقه، قال: (تخيلت نفسي إن كنتُ سأفعل ذلك، فسأكون كحال الأب الذي يغادر ويترك عائلته وأولاده وأحفاده في قارة الطريق). إن كنتِ أيتها الأم تساءلتِ فيما بينك وبين نفسك: ما المسؤولية الملقاة على عاتقي؟ وماذا علي أن أقدم؟ الجواب عن هذا هو قرار عليك اتخذه في هذا اليوم الذي فقد فيه الشهيد وهو ذاته اليوم الذي يحتفل فيه أبناءك بك،

وهذا لَعَمْرِي قرأز لو اتَّخَذْتِيه فسيعودُ عليكِ أنتِ أولاً بالنَّفعِ الجزيلِ والخيرِ العميمِ، وثانياً على المجتمعِ ككلٍ.. وهذا بالضبطِ ما أرادَهُ الفقيهُ الَّذِي خَصَّصَ العديدَ من كتبه ودروسه لكِ أنتِ أَيُّهَا المرأةُ، فعملٌ على إخراجكِ من دائرةِ الاتِّهامِ التي طالما زجَّنا بها الغرب، ومن دائرةِ التَّطبيقِ المغلوطِ للشَّريعةِ الَّتِي أغرقنا فيها المجتمعُ إلى ساحةِ العلمِ والمعرفةِ والمحبةِ والثقةِ باللهِ، أخرجنا إلى السَّاحةِ التي يشعرُ فيها الإنسانُ بشكلٍ عامٍّ والمرأةُ بشكلٍ خاصٍّ بقيمتها في هذا الوجودِ، وأنَّ اللهَ تعالى ما خلَقنا إلَّا لنسعدَ بمعرفتهِ وعبادتهِ، أخرجنا إلى السَّاحةِ الَّتِي لو التزمنا بها لعادَ مجتمعنا الإسلاميُّ المنشودُ كما يرضاهُ لنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، المجتمعُ المسلمُ الحقُّ صاحبُ الخلقِ قبلَ الدِّينِ، وصاحبُ العطاءِ قبلَ الأخذِ، المجتمعُ الَّذِي نشتاقتُ جميعاً للوصولِ إليه والَّذي عاشهُ أجدادنا سابقاً فنَهَضُوا بِأُمَّتِهِمْ وسادُوا مشارقَ الأرضِ ومغاربها..

أيتها الأمُّ: إن كنتِ بحقٍّ تحبِّينَ أولادكِ وتحرصينَ على مصلحتهم وكنتِ من المؤمناتِ بقوله تعالى: **((وقفوههم انهم مسؤولون))**، وإن كنتِ تريدِينَ لهم خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، تريدِينَ لهم العزَّ والرَّفعةَ في الدُّنيا والآخرةِ، فما عليكِ إلَّا أن تسارعي وتأخذي العهدَ على نفسكِ وعلى أولادكِ أَمَامَ اللهِ تعالى وفي هذا اليومِ الَّذِي يحملُ هاتينِ المناسبتينِ أنكِ ستكونينَ حريصةً ما استطعتِ على أن تطبَّقي على نفسكِ أولاً وعلى أولادكِ ثانياً النهجَ الَّذِي أنزلهُ لنا اللهُ تعالى وبلَّغنا بهِ رسولنا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعمِلَ الصَّادِقُونَ على نشره بيننا. وأدلكِ على أقصرِ الطُّرُقِ لهذا: أقصرِ الطُّرُقِ هو أن تكوني أنتِ القدوةَ المُثلى في قولكِ وفعلكِ، وأنتِ أَيُّهَا الأمُّ إن ابتدأتِ بهذا فقدِ اخترتِ لنفسكِ العلاقةَ الطيبةَ بينكِ وبينَ أبنائكِ التي لا تشوبها شائبةٌ ولا مصلحةٌ ولا نزاعٌ، وما هذه القصصُ المريضةُ الَّتِي نسمعُها هنا وهناكِ الَّتِي هي أساسُ تشردِّمِ مجتمعنا وتاكله الأخلاقِ إلَّا ثمرةٌ ونتيجةٌ لبداياتِ خاطئةٍ بعيدةٍ عن نهجِ الإسلامِ القويمِ، إن أردتِ النهايةَ المشرقةَ فعليكِ بدايةً صحيحةً على نهجِ قويمٍ متينٍ، قالَ تعالى: **((أفمن أسسَ بنيانَهُ على تقوىٍ من اللهِ ورضوانٍ خيرٌ أم من أسسَ بنيانَهُ على شفا جُرْفٍ هارٍ فانهارَ بهِ في نارٍ جهنَّم))**. نسألُ اللهُ العفوَ والعافيةَ والعونَ والسَّدادَ.

وأحبُّ كذلكِ أن أوجِّهَ نداءً للمجتمعِ ككلٍّ والَّذي يستطيعُ أن يمدَّ يدَ العونِ للمرأةِ الَّتِي بدونِها لن تستطيعِ بسهولةِ القيامِ بما أوكلها اللهُ بهِ من تربيةِ أبنائها على نهجِ الإسلامِ القويمِ، بدونِ دعمٍ من المجتمعِ لن تستطيعِ أن تبلغِ بأبنائها الدَّرجاتِ المُثلى، لأنَّ فاقَدَ الشيءِ لا يعطيه.

فيحبُّ أن تُعاملَ المرأةَ في المجتمعِ على الصُّورةِ التي رسمها الإسلامُ للمرأةِ عامَّةً وللأمِّ خاصَّةً، وفي هذا شرحٌ يطول، ولكن لنوجزَ في خاتمةِ هذهِ الخاطرةِ نقول: كلُّ عامٍ وجميعُ الأمَّهاتِ بخير، كلُّ عامٍ وسوريا القادمةُ استعادت عافيتها ولمَّت شملها وأمَّلت بنجاحها بخالقها ووَثَّقت بما عندَ الله، وما خابَ عبدٌ أمَّلَ بمولاه، مردِّدينَ قوله تعالى: **((عسى أن تكروهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم))**.

وأخيراً الشُّكْرُ موصول للقائمين على هذا الموقعِ الذي أحسبُ أنَّ خدمتهمُ الصَّادقةَ والحيثيةَ له ما هي إلا ثمرةٌ صدقَ فقيدِ بلادِ الشَّامِ فقيدنا الشَّهيدِ شهيدِ المحرابِ الدكتورِ محمَّدَ سعيدِ رمضانِ البوطي. اللهمَّ إننا نسألكَ بفتحِ وبركاتِ دعائه أن تفرِّجَ عن بلادِ الشَّامِ، وأن تجزيهَ عنَّا خيرَ الجزاء.. والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته..

